

الفصل الأول

نجيب مترى الأب (١٨٦٥م - ١٩٢٨م)



نجيب مترى

فى الأول من مايو من العام ١٨٦٥م، ولد «نجيب مترى» ببلدة الشويفات من أعمال جبل لبنان، وتعلم فى مدارسها، ثم انتقل إلى بيروت، وفيها تعلم فن الطباعة وصف الحروف، وحذق هذه المهنة وتشرب أصولها حتى صار فيها من المبرزين المحترفين. ولا نعلم كيف كانت الفترة التى قضاها فى مسقط رأسه منذ مولده وحتى هجرته إلى مصر التى كانت فى السنوات الأولى من ثمانينيات القرن التاسع عشر.

فى الإسكندرية، وحيث كان يقطن أحد المهاجرين اللبنانيين أيضا «عزيز زند»^(١)، يبدو أنه كان على صلة ما «بشفيق مترى»، ليس هناك ما يشير إلى طبيعة هذه العلاقة ولا أسباب انعقادها، كل ما نعلمه أنه قرر استدعاءه من لبنان ليشتغل معه فى صحيفته المحروسة، ويكون مديرا لمطبعتها، وبالفعل استجاب «مترى» لنداء «عزيز زند» ووفد إلى الإسكندرية فى العام ١٨٨٤م، وتولى إدارة مطبعة المحروسة.

ست سنوات قضاها «مترى» مديرا لمطبعة المحروسة بالإسكندرية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة فى عام ١٨٩٠م، مزعما إنشاء مطبعة خاصة ومكتبة تكون نواة لمشروع كبير فى عالم الطباعة والنشر. ويبدو أن إمكانيات «نجيب مترى» المادية لم تكن تساعد لإنشاء

(١) مؤسس وصاحب صحيفة «المحروسة» أديب وصحفى مصرى، وفى قول آخر من المهاجرين الشوام، وهو الأرجح، لا تتوفر الكثير من المعلومات الدقيقة عن «زند»، وإن كنا نعرف أنه ولد فى القرن التاسع عشر. واحترف الصحافة فى شبابه حيث رأس تحرير جريدة «المحروسة» ومن مؤلفاته «القول الحقيق فى رثاء وتاريخ الخديوى توفيق».



هذه المطبعة بشكل مستقل أو منفرد، فعقد شراكة مع رائد شامى كبير بدوره هو العلم البارز «جورجى زيدان»، وأسسها معا «مطبعة التأليف».

لم تستمر هذه الشراكة سوى عام واحد، ولا نعلم الأسباب التى كانت وراء فضاها، لكن وبصورة عامة انتهت هذه التجربة باحتفاظ «جورجى زيدان» بالمطبعة وأسمائها «مطبعة الهلال» التى ستكون بعد عام واحد فقط نواة «دار الهلال» العريقة. بينما أسس «نجيب مत्री» مطبعة جديدة مستقلة أطلق عليها اسم «مطبعة المعارف».

من هذه اللحظة سيشهد تاريخ النشر فى العالم العربى تدشين واحدة مع أروع تجاربها، ويستهل «نجيب مत्री» عميد عائلة «مत्री» فى مصر رحلته مع مهنة الطباعة والنشر. كان مقر المطبعة فى بدايتها الأولى فى الطابق الأرضى من عمارة الدمرداش بشارع الفجالة^(٥)، ثم سيشهد العقار رقم (٧٠) من الشارع ذاته أو «شارع المطابع»، من جهة باب الحديد، مولد «مطبعة المعارف» فى الطابق الأرضى الذى كان عبارة عن فناء وثلاث حجرات بسيطة، وكان هذا المبنى ملكا للسيد «خليل الزمار» واشتراه منه «السيد عبد الرحيم الدمرداشى باشا».

كانت المطبعة فى أول عهدها عبارة عن آلة صغيرة للطبع تدار باليد وآلة لطبع التجارب، وبضعة صناديق للحروف. وعرف عن «نجيب مत्री» وعن مطبعته، منذ البدايات، الاهتمام والسعة الدؤوب للنهوض بفن الطبعة العربية. وتذكر الدكتورة «عايدة نصير»

(٥) عن شارع الفجالة وتاريخ الشارع، فى تلك البقعة الصغيرة التى لا تتجاوز الكيلو متر مربع يقع شارع الفجالة الذى سمي بهذا الاسم نسبة إلى زراعة الفجل ومزارعيه الذين عرفوا باسم الفجالين، وكان أول شارع للصحافة والثقافة والنشر فى مصر، فقد تأسست فيه عدة صحف ومجلات منها مجلة «الزهور» و«الرواية الجديدة»، وغيرها.. ذلك الشارع التاريخى الذى أطلق عليه «شارع الأدب والأدباء» تارة أو «شارع المعارف» تارة أخرى، وكان يعرف أيضا بشارع المطابع، وفيه شهدت البداية رقم (٧٠) تأسيس «مطبعة المعارف» كمطبعة تجارية فى الطابق الأرضى، وقد كان هذا المبنى ملكا «لخليل الزمار» واشتراه «السيد عبد الرحيم الدمرداشى باشا».

في كتابها «حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر» أن ما نشرته (مطبعة المعارف ومكتبتها) خلال السنوات العشر التي عاشتها في القرن التاسع عشر بلغ ١٧ كتاباً.

في العام ١٩١٠م حينما يكون في مقدور نجيب مत्री أن يتوسع في نشاط «مطبعة المعارف»، سيقوم باستئجار دكان إضافي بنفس العقار الذي تقع فيه المطبعة، وسيطلق عليها اسم «مكتبة المعارف». وتحت اسم واحد هو «مطبعة المعارف ومكتبتها» سيجمع «نجيب مत्री» الكيانين معا تحت هذا المسمى، وهي التي ستشكل نواة ما سيعرف باسم «دار المعارف»، التي قدر لها أن تلعب أعظم الأدوار وتخرج روائع الأعمال ويقرن اسمها بأعلام العصر من الأدباء والشعراء والمفكرين.



خليل مطران

وعلى ندرة المعلومات وقلتها، رغم البحث المضني والواسع الذي بذلناه، فإن المصادر التي رجعنا إليها، وأهمها بأقلام لبنانيين، قد أجمعت على أن الرجل لم يكن مجرد صاحب مطبعة ومكتبة فقط، بل كان مثقفاً واسع الثقافة، محباً للأدب، شغوفاً بالمعرفة، بل إنه كان ينظم الشعر أيضاً. جعل «مत्री» من «مطبعة المعارف» أكثر

من مجرد دار نشر صغيرة تطبع الكتب، فقد حولها إلى «صالون ثقافي» ومنتدى أدبي دائم يضح بالزائرين من الكتاب والمؤلفين وأصحاب القلم.. زارها في السنوات الأولى لإنشائها «أحمد حشمت باشا» ناظر المعارف، وتردد عليها أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر القطرين «خليل مطران»، و«منصور فهمي باشا»، وآخرين من أعلام هذه الفترة الزاهرة.

وبالتأكيد، فإن الصلة الوثيقة التي ربطت «نجيب مत्री» بأهم وأبرز رجالات عصره من الكتاب والأدباء والمفكرين والسياسيين



أيضا، كان لها كبير الأثر في نشاطه وتوسعاته التالية في المطبعة، إذ استثمر «نجيب مत्री» هذه الصلات كأحسن ما يكون، مما أتاح له أن يجتذب هؤلاء جميعا لنشر كتبهم وأعمالهم لديه، وكل ذلك أعطى للدار الوليدة (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة) خاصة في طور نشأتها الأولى دفعة قوية وهائلة فضلا عن ترسيخ أقدامها بثبات وقوة في عالم النشر آنذاك.

بعد خمسة وعشرين عاما من تأسيسه لمطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة، اتسعت تجربة «نجيب مत्री» وامتدت وأصبحت المطبعة من أكبر مطابع القاهرة وأكثرها استعدادا وجاهزية لطباعة الكتب المدرسية وغيرها من صنوف الإصدارات، وحازت شهرة عريضة بسبب جودة طبعها واتقان إخراجها، وهنا سيقوم «نجيب مत्री» بإضافة قسم جديد للمطبعة مخصص لتجليد الكتب تجليداً فاخراً.

وبمناسبة مرور ربع قرن على إنشاء مطبعة المعارف ومكتبتها، احتفى كبار الكتاب والأدباء والشعراء من المشاهير بهذه المناسبة في احتفال كبير أقيم بفندق الكونتينتال بالقاهرة في ٢٨ أبريل ١٩٦٦م، وقدم فريق منهم كأساً تذكارية إلى «نجيب مत्री» اعترافاً وتقديراً للدور الكبير الذي لعبه الرجل خلال هذه الفترة من تاريخ «مطبعة المعارف».

وضع «نجيب مत्री» في مجال النشر وتعاملاته مع الكتاب والمؤلفين دستوراً صارماً التزم به وطبقه خير تطبيق، وكما يقول هو نفسه في الاحتفال بالعيد الفضى «لمطبعة المعارف» إن: «رأسمالها قوة الإرادة، وحسن الإدارة، وما زالت سائرة على خطتها، مع ما كان هناك من المصاعب الجمة، حتى تمكنت من نشر طائفة غير يسيرة من الكتب الأدبية والعلمية والمدرسية والفكاهية، وأصبحت مطبعة المعارف ومكتبتها إحدى الجهات الكبيرة لصناعة الكتاب، فانتشرت مطبوعاتها في العالم



العربي أجمع، وعرفت في كل مكان بمراعاة جميع أصول الطباعة الراقية، لأنها توخت منذ إنشائها ترقية الطباعة، لتضاهي الطباعة الإفريقية وما بلغت إليه من الاتقان والتقنن»..

وما كان «لمطبعة المعارف» ومكتبتها أن تستمر وتنمو لولا حرصها البالغ ووعي صاحبها الرهيف بضرورة مسايرة أحدث ما وصلت إليه تقنيات الطبع والنشر في أوروبا، كان «نجيب مत्री» واعيا ومتابعا لتطورات الصناعة في الخارج، وكان مداوما على متابعة النشاط ورعايته في ظل شرط ألزم به نفسه وقرضه على مطبعته الوليدة، وهو ضرورة أن تنهل باستمرار من خبرة المطابع الغربية الفائقة، واضعة في اعتبارها كل تحسين ممكن لصناعة (الكتاب العربي).

ويكتب «نجيب مत्री» في عام ١٩١٥م (وكان مضى على تأسيس المطبعة ربع قرن): «إن مطبعة المعارف قد أصبحت بمشيئة الله، بعدما جهزناها به من أنواع الحروف المختلفة، والآلات الحديثة، مستعدة للقيام بكل ما يطلب منها طبعه في اللغات العربية والإفريقية».

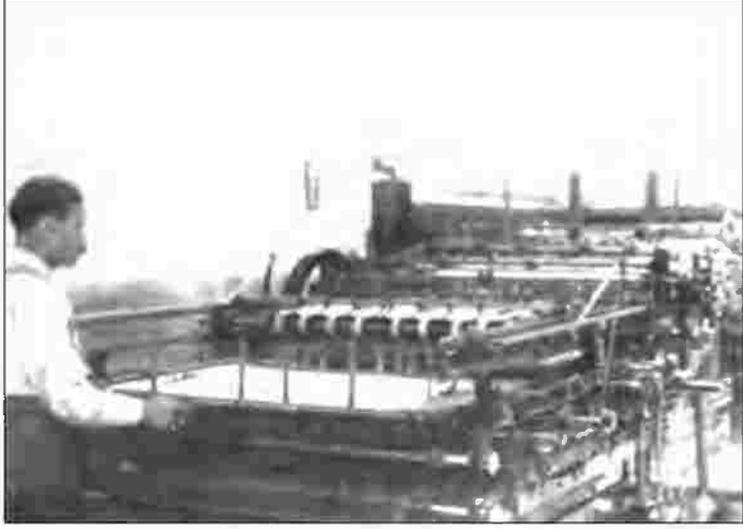
كما نشرت المطبعة في ذلك الوقت إعلانا في الصحف ينوه عن أجناس الحروف الموجودة في المطبعة وأنواعها واستخداماتها، وعلى سبيل المثال يشرح الإعلان سمات ووظائف حرف بنط ٩ فيقول (يحسن استخدامه لطبع الألقاب والوظائف على بطاقات الزيارة)، وهكذا يستطرد في شرح ووظائف الأبناط الأخيرة التي كان معمولا بها في ذلك الوقت..

مطبعة المعارف ومكتبتها

إذن وخلال الفترة من (١٨٩١م - ١٩٢٨م)، نجح «نجيب مत्री» بامتياز في تحقيق حلمه الكبير، ليس بالنهوض بفن الطباعة في مطبعته فحسب، بل كان تأثيره كبيرا وطاقيا على الطباعة في مصر كلها، وذلك من خلال العمال الذين تدرّبوا في مطبعته



وأصبحوا كوادرفنية محترفة، وخرجوا من عنده لينشروا فن
الطباعة في مختلف أرجاء المحروسة.



المطبعة الأولى لدار المعارف بالقجالة

وخلال تلك الفترة أيضًا، صدر قسم كبير وزاخر ووافر من
المطبوعات العربية؛ الثقافية والفكرية والأدبية، العلمية
والاقتصادية، وفي مجالات شتى عن تلك المطبعة الصغيرة التي
كانت تسمى بـ (مطبعة المعارف ومكتبتها) لصاحبها «نجيب
مترى». لكنها وبعد هذه السنوات لم تصبح صغيرة، بل شبت عن
الطوق، واشربأت بعنقها لتطاول غيرها وتنافسها وتتفوق عليها
أيضًا، صارت (مطبعة المعارف ومكتبتها) مقرا وملتقى لرجال
التأليف وأرباب القلم في مصر، ومن يحاول أن يكتب تاريخ تلك
الفترة ويؤرخ لما صدر عن «مطبعة المعارف» من «المؤلفات النفيسة
والمصنفات الممتعة» فقد نجح في كتابة تاريخ الأدب العربي
والثقافة العربية في ما يزيد على ربع القرن، ومن أراد أن يصف
المشاهير الكتاب والأدباء والشعراء الذين ارتادوها وجلسوا بين



جدرانها فقد أراد أن يذكر معظم الذين ألفوا وترجموا في هذه الحقبة الباهرة من تاريخنا الثقافى.

ولكى لا يكون كلامنا على عواهنه، مرسلًا بلا دليل، فإن فى ما كتبه «أنطون بك الجميل»^(٥) بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضى لمطبعة المعارف سنة ١٩١٦م، خير دليل وأوضحه على ما نقول، فالرجل يرسم صورة ناصعة لما وصلت إليه مطبعة المعارف من مكانة سامية وراقية ويسرد فضلًا يهزأ من هذا التاريخ، ويروى مشاهد وحكايات من دفتر الثقافة المصرية والعربية، سجلها أحد رجالات هذا العصر البارزين.



أنطون بك الجميل

يصف «أنطون بك الجميل» فى خطابه التاريخى (الذى ألقاه بمناسبة الاحتفال بالعيد الفضى لمطبعة المعارف سنة ١٩١٦م)، بعضًا من المشاهد والزيارات التى قام بها إلى مقر المطبعة، ويصف أيضًا كيف كانت.. يقول:

”فى إحدى زوايا المطبعة قطعة أثاث، سموها ما شئتم-منضدة أو مكتبا أو طاولة- فكل هذه الأسماء تنطبق عليه لأنها كثيرًا ما تقوم بجمع الوظائف التى تدل عليها هذه الألفاظ.. حول هذه الطاولة أو المنضدة اجتمع فى فترات مختلفة كتاب ومؤلفون، مختلفون نزعةً ومنهجًا وأسلوبًا، مثقفون أدبًا وكرم أخلاق وسعة معارف.

إلى هذه الطاولة جلس وزراء ووكلاء وزارات ومديرون وقضاة ومحامون وأدباء وشعراء، فعدوا حولها جلسات لطيفة وقد ساوت بين الجميع حرفة الأدب وصناعة التأليف، فهذا يصحح «بروفة»^(٥)

(٥) هنا هامش ثان عن أنطون الجميل، كاتب وصحفى بارز وعضو مجلس الشيوخ المصرى ومؤسس مجلة «الزهور» ومدير تحرير صحيفة «الأهرام»، وصاحب وسام الباشوية من خديو مصر.



وذاك يبحث عن كلمة، وذلك يكتب تامة فصل من فصول كتابه، والآخر يراقب طبع ملزمة يهمله أمرها، وهذا يناقش ذلك فى موضوع أو عبارة، فكانهم قفير نحل يشترتون عسلا والكل فى ذهاب واياب.

حكاية فارس بلا جواد»

ولا يقتصر اسم «أنطون الجميل»، وكان من رواد الثقافة اللبنانية فى مصر، على الاحتفاء والإشادة «بمطبعة المعارف ومكتبتها» لصاحبها «نجيب مترى»، فقد كان أحد كتابها ومؤلفيها، وربما لا يعلم الكثيرون أن مجلة «الزهور» الثقافية العظيمة التى أسسها أنطون الجميل (بالاشتراك مع الشيخ أمين تقى الدين) سنة ١٩١٠م واستمرت حتى ١٩١٣م، كانت تصدر أعدادها عن مطبعة المعارف (جمعت الأعداد الكاملة فى ما بعد وصدرت فى أربعة مجلدات ضخمة)، وكانت المجلة منبرا لكبار أعلام العصر من الشعراء والكتاب من أمثال: «أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومى زيادة، وشبلى شميل، وفليكس فارس.. وآخرين».

على صفحات هذه المجلة التى كانت تصدر عن (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة) يورد «أنطون الجميل» هذه الحكاية الطريفة والجميلة والتمتعة معا، بطلها واحد من أشهر الشخصيات فى تاريخ الصحافة والكتابة الساخرة والنضال السياسى أيضا، ودون أن نتدخل فى السياق سنترك القارئ مع تفاصيل الحكاية، ثم نعلق عليها بإيجاز، يقول «أنطون الجميل»: ١٩١٢ م.

قصدت مطبعة المعارف منذ مدة سيدة وطنية اسمها و«سيلة محمد»، وعرضت على «نجيب أفندى مترى»، صاحب المطبعة، نشر كتاب عنوانه «روح الاعتدال» لواءه «شارل وانيس». فارتاح «مترى أفندى» إلى موضوع الكتاب الجليل ورأه جديرا بالنشر باللغة العربية لما فيه من الفائدة للبلاد فطبعه؛ وتناولت الصحف



الكتاب بكلمات الإطراء، وأقبل عليه القراء أيما إقبال، وقزرت مدارس كثيرة تدريسه.

وبعد مدة وجيزة عادت «وسيلة محمد» إلى مطبعة المعارف ويدها نسخة من كتاب آخر، عنوانه «غاية الإنسان» فلم يتردد «نجيب أفندي مئري» في قبوله إذ رآه لا يقل فائدة عن الكتاب المتقدم ذكره. فطبعه ونشره في الشهر الماضي وكان له نصيب كبير من إقبال القراء. وفي أوائل أكتوبر عادت «وسيلة محمد» إلى المطبعة ومعها القسم الأول من ترجمة كتاب الناشئة، وفي ١٠ أكتوبر قبض البوليس على «حافظ نجيب»، فحال دون إنجاز الكتاب الثالث من هذه الكتب التي كان ينشرها «حافظ» باسم زوجته. وهي لا تدرى من سر زوجها شيئاً.

أهدت «وسيلة محمد» كتابها الأول إلى ابنتها العزيزة فقالت - أو قال «حافظ نجيب» - «أنت اليوم طفلة في المهدي، تركت ابتسامتي، ويكفيك حنوي. وطفلة اليوم أم الغد.. والزمان قلب، والغد مجهول، فقد لا أكون إلى جانبك إذ ذاك، فترجعين إلى هذا الكتاب.. فتؤثرين العمل بما فيه من الآراء السديدة على ما يجدو إليه نزع الشباب، أو جنون الصبا، وطيش الرعونة.. وإذا ما أعوزتك النصيحة فإن في آراء الكتاب الاجتماعي ما قد ينوب عن نصيحة أم ثوث، أو والد قبر، هذه هديتي. فإن تعلمت علماً صحيحاً وكنت رقيقة العواطف، عرفت منها كم كنت أحبك وأرغب في نفعك».

والكتاب الثاني أيضاً مهدى إلى الابنة العزيزة وقد جاء في كلمة الإهداء:

«الدهر عبر والحياة سير، والنفس بينهما لا تستقر، فمن تنقى الأيام تأمن عبرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها. والحوادث جائية ذاهبة، والأعمار فانية ناضبة، فالحال لا تدوم أسعدت أم أشقت، والذكرى لا تقنى قبحت أم حسنت. فاتقى بنيته العاقبة الأخرى، وآرائه. على أنه لا يسعنا قبل الختام إلا إبداء الأسف لضياح مثل



هذا الذكاء النادر، ولو عرفت الحكومة الآن أن تقوده في الطريق المستقيم لنفعت وأفادت كثيرا.

ويُرد اسم الأستاذ «حافظ نجيب»^(٥) ضمن قائمة كبار مؤلفي (مطبعة المعارف ومكتبتها) الذين تعاونوا معها وأخرجوا كتبهم فيها، وجاء التعريف به والتنويه بأثره في القائمة المذكورة كما يلي: «هو ذلك الأديب دارت بينه وبين الدهر معارك هائلة كان لها دوى شديد، ومدى بعيد، وحديث طويل عريض، لو خاض غمارها سواه من ذوى الحيلة الضيقة لسقط ساعته خائر العزم متحطم القوى، ولكنه خرج منها بدهائه كما يخرج الفجر من جوف الليل وبين أنامله قلم الأديب البارع والصحافي الماهر والكاتب الاجتماعي القدير. أما أسلوبه في الإنشاء فهو الأسلوب الراقى العذب. ومن آثار قلمه طائفة قيمة من الكتب في موضوعات شتى اجتماعية وأخلاقية، تتم عن شعور رقيق، وهي: «روح الاعتدال»، و«غاية الإنسان»، و«الغرور»، و«الناشئة»، و«محاورة في التربية والأخلاق» وغير ذلك. وله في الصحف والمجلات مباحث وجولات تشهد له بالبراعة وحدة الذكاء.

وأوردت مجلة «الزهور» أيضا في عددها المشار إليه تلخيصا رائعا لسيرته، وكشفت السروراء شهرته، والظروف التي ربطت بينه وبين (مطبعة المعارف ومكتبتها)، ولعل هذا التعريف أو هذه الترجمة الموجزة «لحافظ نجيب» لا تقل طرافة ولا إثارة عن قصة نشر كتبه باسم مستعار في «مطبعة المعارف»، يورد محرر مجلة «الزهور» ما يلي عن ما أسماه «النابعة في الاحتيال» كتب يقول:

«لما سألنا قراءنا هذه السنة عن النوايع في مصر، أجابنا كثيرون منهم ذاكرين «حافظ نجيب» النابعة في الاحتيال. والحق يقال أنه

(٥) حافظ نجيب هذا الذي يتردد اسمه في الحكاية السابقة، هو الشخصية التي استلهم منها الفنان «محمد صبحي» دراما مسلسلته الشهير «فارس بلا جواد» الذي تابعه الملايين بشغف كبير. ويفض النظر عن التغييرات التي أدخلها صناع المسلسل على الشخصية والمعالجة التي باعدت بالمسلسل عن الأصل المأخوذ عنه مسافات بعيدة، فإنه قد أحيا الاهتمام بهذه الشخصية المثيرة، ذائعة الصيت التي ذكر «نجيب محفوظ» في كثير من حواراته وإشاراته لطفولته ونشأته إلى تأثيره الشديد بها وشغفه بالقراءة لها وعنهما.



لنابغة فذ في بابه، يُعد أرسين لوبين واللص الشريف وسائر أبطال روايات البوليس السرى عيالا عليه. كانت المحاكم قد حكمت عليه ثلاثة أحكام غيايية لاتهامه بالنصب والاحتيال في حوادث غريبة الوقائع، وحكمت عليه مرة حكما حضوريا، ولكنه تمكن من الفرار من سجن في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧م، وظل خمس سنوات ينتقل في القطر المصرى والبوليس ينقب عنه وهو يواصل أعماله الغريبة. ذهب إثر هربه من السجن إلى الوجه البحرى، ودخل في دير أشوارى، وادعى أنه راهب واسمه "غبريال جرجس" وبقي هناك بضعة شهور اكتسب في خلالها ثقة الجميع، حتى أصبح صاحب الكلمة المسموعة وحينئذ احتال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمائة جنية واختفى. ثم قصد دير المحرق متخذا اسم الراهب «غالى جرجس» وراسل من هناك بعض صحف العاصمة، وكان له كتابات تذكر في موضوع الخلاف الذى كان قائما في ذلك العهد بين الجرائد الإسلامية والجرائد القبطية. ولما افترض أمره، غادر الدير واختفى أثره إلى أن كان اليوم العاشر من أكتوبر ١٩٠٧م. فقد بلغ البوليس أن "حافظا" موجود في دائرة قسم مصر القديمة وهو متنكر يحترف حرفة درويش يعطى عهدا فهاجمته قوة من رجال البوليس فوجده محاطا بعدد كبير من الدراويش في حلقة ذكر، ولما رأهم مقبلين إليه، أخذ يكبر بصوت عال الله! الله! ولما قبضوا عليه، ادعى أنه "الشيخ عبد الله إبراهيم" من المنوفية، وأن الله يخلق من الشبه أربعين. على أن إدعاءه هذا لم يجده نفعاً، وسيق إلى السجن. وكان مدة إقامته في مصر العتيقة قد اقترن بإحدى جاراته. وهى تجهل حقيقة أمره. ورزق منها ابنه سماها "عزيزة" وهى الآن في حولها الثانى. هذا شئ قليل من نوادر هذا الرجل الغربية. وما كنا لنشغل بها قراء ثمرات المطابع لولا أن الرجل كاتب بليغ، وله مصنفات نفيسة».



كان لافتاً أن تكون الكتب الخمسة الأهم التي نشرها «حافظ نجيب» قد صدرت عن (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة)، ولعل هذا يعطى مثالا بينا عن المكانة التي كانت تحتلها «مطبعة المعارف» آنذاك، وكيف كانت من كبريات دور النشر بلا جدال، يقصدها المؤلفون والكتاب من كل حدب وصوب، وترى أيضا أن تأشيرة «نجيب أفندي مترى»، أو إجازته العاسمة بنشر كتاب ما، يعنى إعطاء تأشيرة الشهرة والكسب المادى لصاحب الكتاب، ونقله فوزا إلى صدارة المشهد الأدبى والثقافى فى مصر والعالم العربى.

هدية الإلياذة.. لنجيب مترى (١٩٠٥م)

احتفت الحياة الثقافية العربية احتفاء كبيرا بظهور تعريب «سليمان البستاني» لرائعة هوميروس الخالدة «الإلياذة». واستمرت الاحتفالات وأنواع التكريم لأشهر عدة طوال سنة ١٩٠٤م التي صدرت فيها «الإلياذة» منظومة باللغة العربية. وتبارى الكثيرون فى الكتابة والخطابة ونظم القصائد تحية «للبستاني»، وكان من الممكن ألا يعرف أحد تفاصيل هذا الاحتفال وما ألقى فيه من خطب وقصائد، فلا يطالع الكلمات التي قيلت فى الحفل أو البرقيات التي وصلت إلى «سليمان البستاني» لتهنئته، ولا الخطابات والمقالات والقصائد التي نشرت فى الجرائد والمجلات، لولا «نجيب مترى» صاحب (مطبعة المعارف ومكتبتها) التي تولت طباعة التعريب وتوزيعه. ويحتفى «جابر عصفور» فى كتابه «فى محبة الشعر» بصنيع «نجيب مترى» فى هذا الكتاب وإخراجه له احتفاء كبيرا، يقول: «وكان نجيب مترى شاعرا أدبيا عاشقا للأدب، صديقا للبستاني، ممتلئا بالحماسة لمشاركته فى إخراج «الإلياذة» إلى النور بالعربية، ولذلك، وتعبيرا عن التقدير والحماسة لهذا العمل الثقافى الجليل، قام «نجيب مترى» بجمع ما



كتبه أرباب المقامات السامية وأصحاب الصحف والمجلات والأدباء والشعراء عن ظهور "الإلياذة" مع تفصيل الحفلة الوطنية التي أقيمت تكريماً لسليمان البستاني».

وتولى «نجيب مत्री» طباعة هذا كله في كتاب وصفه «جابر عصفور» بـ «لم أر له مثيلاً في ثقافتنا العربية». وأطلق على الكتاب اسم «هدية الإلياذة» (في ١٠٨ صفحات من القطع الكبير) وأصدره من مطبعته ومكتبته سنة ١٩٠٥ أي بعد مرور عام تقريباً على صدور الترجمة، وبعد أن اكتملت الاحتفالات بها والكتابة عنها.

وهذا التقليد جمع المقالات والكلمات الاحتفائية بمناسبة صدور كتاب ما أو على شرف شخصية لها قيمتها ومكانتها الثقافية والفكرية، ربما كان "نجيب مत्री" أول من يرسخ له بفعلته هذه في ثقافتنا الحديثة، ويكون في الرواد في تدشين فكرة الكتب التذكارية والتوثيقية للمناسبات التاريخية أو الأحداث والشخصيات ذات المكانة الثقافية المعتبرة.

وان كان من دلالة يمكن استخراجها من مثل هذه الروايات والوقائع، فأبرزها في ظني هو انشغال «نجيب مत्री» انشغالا تاما وكاملاً بالكتاب المطبوع، باعتباره التجلي الأكمل لمنجزات العقل الإنساني وتخليده، كان «نجيب مत्री» يفكر بالكتاب وللكتاب، ويسعى طوال الوقت إلى إخراج الكتب الفريدة، المهمة، التي تضيف إلى مجالتها المعرفية وتترك بصحة لا تمحريتقضى الموضوعات ويحتفى بالمؤلفين ويهتم اهتماماً بالغاً شكل الكتاب وجودته وتدقيقه، وهو ما يظهر في هذه اللمحات من تاريخ «مطبعة المعارف ومكتبته» خلال الفترة التي كان يتولى فيها إدارتها، بعد تأسيسها، وترسيخ وجودها بين أهل الطباعة والنشر في ذلك الزمن البعيد.



احتفاء راق بكتاب مترجم

وعلى صفحات جريدة «المحروسة» التي كانت تصدر آنذاك، فى عددها الصادر بتاريخ الأول من فبراير عام ١٩١٦م ستجد مقالا كتبته الأنسة مى^(١)، الشخصية اللامعة وصاحبة الصالون الأدبى الأشهر فى تاريخ مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، وهى الأديبة الأريبة مى زيادة، عن كتاب قام بتعريبه حضرة «أنطون بك الجميل» وعنوانه «الفتاة والبيت».

جاء فى هذا المقال ما نصه «كجميع الكتب الصادرة من مطبعة «نجيب أفندى مثرى»، هذا الكتاب من حيث فن الطباعة آية حسن ذوق وإتقان، وإذا ما قلبت صفحته الأولى استوقفتك رسالة من أستاذنا الكبير «إسماعيل صبرى باشا» الذى يفتخر الأدباء جميعا بكونه «رئيسهم»، رسالته هى خلاصة رأى سعادته فى هذا السفر الطيب وفى مؤلفته ومعزیه القاضلين. ثم يتقدم فكرك «خطوة» بين صفحاته، ويتناول اهتمامك فصوله واحدا بعد واحد مع ما يسبكها من أسلوب رشيق وعبارة أنيقة وتشكيل موضح وفن فى الطباعة متقن، حتى إذا ما أتيت إلى آخره قلت: «لقد استشعر (الرئيس) بفكر كل قارئ للكتاب يوم خط رسالته فيه» وإذا كنت مجبا لترقية المرأة وترقية النوع الإنسانى بالتبع، سارعت بإهدائه إلى كل فتاة لديك عزيزة، إلى ابنتك وأختك وقريبتك. إنى لا أعرف حضرة مؤلفته شخصيا لأشكرها، على أنى أعرفها معنويا، وكأننى سمعت من خلال سطورها نغمة نفسها العذبة فى إرشادات ونصائح لا تأتى إلا من أم ذكية مدبرة لطيفة، ذات نظرة نفاذة وكلمة فعالة.

أما حضرة معزیه «أنطون أفندى جميل»، فهو مفكر دقيق الملاحظة، ولا يذهلنا اهتمامه اليوم بأمر تربية الفتاة، وقد كان لهذا الموضوع الخطير صفحات واسعات فى مجلته «الزهور»، هو يرى

(١) هى الأنسة «مارى زيادة» كريمة «إلياس بك زيادة» صاحب جريدة المحروسة، وكانت توقع ما كتبه عادة باسم «الآنسة مى» أو كلمة «مى» وحدها.



النقص الهائل في تربية فتاة اليوم فيؤله أمرها ويحاول مساعدتها ما استطاع. ولعل ما من أحد يرى زلات الفتيات ويود إصلاحها أكثر من الشبان إذا كانوا على جانب من العلم والتفكير. نعم يا صديقتي، الشاب الذي لا يعرفك ولا أمل له في الاجتماع بك يوماً إذا كنت محجوبة يحاول استجماع كل ما يقال عنك وكل ما ينم عن طويتك ليبنى عليك حكمه، والشاب الذي تقابلينه في الاجتماعات - إذا كنت من السافرات - ذاك الذي ينحني أمامك باحترامه والاتفاقي وأدبه الاجتماعي، ذاك الذي يسكب أمامك أعذب ابتسامة تعلمها في الصالونات ساردا أرقى ما لديه من العبارات المحنّطات، هذا لك أعظم ناقد، أنت تنسين ذلك لكثرة الوجوه المارة أمامك، ولكن هو لا ينسى أن يلاحظ حركات كل فتاة يراها، ويدرس كل خصائصها ليطلق عليها حكمه النهائي، لعل الضجر الآفة الكبرى في حياة الفتاة، هي مكفولة باهتمام والديها بها، فلا واجبات تستغرق فكرها ووقتها ولا مسؤولية تجعلها شاعرة بقوة شخصيتها وأهميتها، أما تبادل الزيارات والاجتماعات الكثيرة أو القليلة، فإذا كانت كافية لإرضاء بعض الفتيات. وفي هذا إشارة غير حسنة لأنه ينم عن فكر سطحي ونفس قانعة من الحياة بقشورها اللامعة. فإن البعض الأخر يكاد يختنق مللاً، وأثر الملامى الاجتماعية لا يأخذ في نفسه إلا المكان الذي يستحقه، قالوا إن السامة علامة النفس الشريفة، هذا صحيح بشرط أن تكون السامة حادثاً مازا أو حالة نفسية مؤقتة، إذ تنم عن رغبة في تلك النفس إلى حياة أرقى وأهم وأجمل وهذا ميل إلى الكمال دائماً، أما السامة المستديمة فهي قتالة للقوة والنشاط النفسيين ومرضعة الكسل ووهن العزيمة، ومؤذية حتماً إلى التلاشى الشخصي.

كتاب كبير يحوم على كل أثر من آثار حياة المرأة، يطبعه «نجيب أفندي متری» ونجد في أول صفحاته لرسالة من «الرئيس» نثرية، بل قصيدة، قصيدة في تحرير المرأة».



هكذا كان يحتفى كبار الكتاب والأدباء بإصدارات مطبعة المعارف ومكتبتها، لا فقط من حيث روعة الإخراج وجودة النشر وتدقيق النص، إنما فى الأساس من اختيارات الكتب التى كان يتحمس لنشرها وإذاعتها «حاضرة نجيب أفندى مترى» الناشر المثقف، كان النشر آنذاك رسالة، يساهم مساهمة فعالة فى تلك النهضة التى تشكلت ونضجت وأتت أكلها خلال الفترة من النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين.

وهذا نموذج دال من عشرات النماذج، بل المئات، التى يمكن جمعها وإيرادها فى مؤلف مستقل يحمل كتابات عدة ومقالات متنوعة لرواد النهضة فى ذلك الوقت، يكتبون عن الإصدارات والكتب التى كانت تخرجها آنذاك مطبعة المعارف ومكتبتها خلال ما يزيد على ثلاثة عقود.

إعلان عن كتاب

ومن الدلائل على بلوغ (مطبعة المعارف ومكتبتها) فى ذلك الزمان شأواً بعيداً ومكانة رفيعة فى سوق النشر وعالم الكتاب، أن الإعلان عن كتبها وإصداراتها كان يتم بطريقة لا توحى بأنها مجرد إعلان عن كتاب عابر، بل بحدث ثقافى رفيع، يتم الإشارة فيه إلى عنوانه وأهميته ومحتواه وفضل كاتبه ومكانته بين الكتاب، مثلاً عندما أصدرت المطبعة كتاب «خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع» لصاحبه «على أبو الفتوح باشا»، وكان يشغل وقتها منصب وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية (وزارة التعليم حالياً)، كتب «نجيب مترى» يفرط الكتاب وصاحبه فى مقدمة وافية له، يقول فيها: «ليس بين أبناء اللغة العربية الشريفة من يجهل ما للمرحوم «على أبو الفتوح باشا» وكيل نظارة المعارف المصرية سابقاً من روائع الأفكار وكرائم



الأثار»، أما الإعلان عن الكتاب (على صفحات مجلة الزهور) فجاء بالصيغة الآتية:

كتاب (خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع) بقلم فقيد العلم والعمل والجد المرحوم «على أبى الفتوح باشا» وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية، طبعه بإذن المؤلف «نجيب أفندى مترى» صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٢م على ورق جيد طبعاً نظيفاً فجاءت صفحاته ٣٦٠.

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية، فجمعت في حياة كاتبها، ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد، وهو يطلب من ناشره، ومن مكتبة المنار بمصر. جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علماً وعملاً، فجاءت وافية واضحة مفيدة، ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة (الشرعية الإسلامية والقوانين الوضعية). قال: (يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأصول الإسلامية، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد.

ولكن الباحث فى الفقه الإسلامى ولو قليلاً، لا يلبث أن يغير هذا الظن، ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا فى الرفاهة وتقدير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قلما يجاريهم فيه أحد، إلا أن صعوبة كتب المتأخرين، وكيفية تأليفها، والتواء أساليبها، وتعقيد عباراتها، قد أوصد الباب فى وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها. ولذلك، فإنى أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد المؤلفات القديمة لأنها أسهل مورداً، وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد، وتنزهها عن



المشاغبات اللفظية، وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل، ولا حساب للوقت.

هكذا جاء الإعلان عن الكتاب، وهو بصيغته الجزلة ولغته العالية، لا يمثل إعلانا بالمعنى الذى نعرفه الآن، إنما هو عرض مكثف للكتاب ومحتواه وموضوعاته بما يشبه مقالا قصيرا وافيا بمضمونه، وهو يدل على مدى الاهتمام والوعى بقيمة الكتاب ونشره وطريقه الإعلان عنه والترويج له، وهو ما يدخل فى باب الدعاية والتسويق بأفكار مبتكرة تكاد تطابق ما وصلت إليه أحدث مستجدات هذين المجالين فى عصرنا الآن. ويجب ألا ننسى أننا نتحدث عن كتاب يتم الإعلان عنه فى سنة ١٩١٢م.

نماذج من الإصدارات

خلال الفترة التى ظهرت فيها «مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر»، اضطلعت بنشر طائفة ضخمة من الكتب والإصدارات القيمة فى المجالات كافة، كان من أظهرها وأشهرها (الموجز فى علم الاقتصاد) خمسة أجزاء، ترجمة الشاعران «حافظ بك إبراهيم»، و«خليل أفندى مطران»، وكتاب فى «التربية والأخلاق» (جزءان) لمؤلفه أيضا «حافظ بك إبراهيم»، بالإضافة لكتيب فى الاقتصاد من تأليف «حافظ بك إبراهيم» أيضا. ونشرت كتابات لرائد أدبى هو «عبد الله فكرى» بعنوان (الفوائد الفكرية)، وغيرها من الكتب المقررة على طلبة المدارس فى ذلك الوقت.

وفى الأدب والثقافة العامة والسياسة، نشرت «مطبعة المعارف» كتبا كثيرة، من أهمها (مختارات الزهور)، وهذه مجموعة شعرية لأمرء الشعر فى ذلك العصر، وهم «إسماعيل صبرى باشا، وأحمد شوقى بك، وخليل مطران بك، وولى الدين بك يكن، وحافظ بك إبراهيم، وأحمد محرم، وحفنى بك ناصف. وغيرهم».



وهذه المختارات كانت تنشر فى مجلة الزهور لصاحبها «أنطون بك الجميل، والشيخ أمين تقى الدين» التى كانت تصدر أيضا عن «مطبعة المعارف ومكتبتها». وكانت هذه المختارات رائجة جدا فى ذلك الوقت. واستعانت المطبعة بمجموعة أعلام. آنذاك - أثروا المكتبة بكتب جادة ومهمة فى تخصصاتها.

أيضا هناك كتابات عربيها «وديع البستاني» (مترجم عمر الخيام) منها «معنى الحياة»، و«السعادة والسلام»، و«مسرات الحياة»، و«محاسن الطبيعة»، وكلها لمؤلف واحد هو «لورد أفيرى»، ويكتب «البستاني» فى مقدمة «محاسن الطبيعة»: «هذا الكتاب كسائر مؤلفات «لورد أفيرى» آية من آيات السحر الحلال وقد بحث فيه المؤلف فى عالمى الحيوان والنبات، ثم تناول وصف المناظر التى يتألف منها عالم المشاهدة كالبحور والأنهار والبراكين والجبال والأودية والأفلاك على اختلاف أنواعها».

وتأتى بعد ذلك الكتب المهمة التى نقلها المرحوم «أحمد فتحى باشا زغلول» (شقيق سعد زغلول) والذى رحل عام ١٩٤١م، وإن كان لهذا الرجل موقف سلبى فى قضية دنشواى، إلا أن كتبه المترجمة كانت مقروءة كثيرا، مثل (سر تطور الأمم) للفرنسى «جوستاف لوبون»، وكتاب (سر تقدم الإنجليز السكسونيين) «لادموند ديمولاند»، وجوامع الكلم «لجوستاف لوبون»، غير الكتب المؤلفة له مثل (شرح القانون المدنى) و(المحامة) وظلت هذه الكتب تطبع المرة تلو المرة، وعلى رأسها كتاب (سر تقدم الإنجليز السكسونيين)، الذى لاقى عناية ورواجا بين الجمهور المثقف فى هذه الفترة.

وهناك أيضا مجموعة الدكتور «شبللى شميل»، وهى تشتمل على مقالات فى مذهب (داروين) فى أصل الأنواع وتحولها وشرح «بخنر» وهذه المقالات هى أول الغيث الذى هطل فى هذا الموضوع، كما تشتمل المجموعة على مباحث دقيقة فى موضوعات شتى: عمرانية وطبيعية وعلمية وتاريخية وأدبية وسياسية وانتقادية



وفكاهية. كما نشرت المطبعة ترجمات «الكسندر وماس»
لواضعها «نجيب الحداد»، وروايات «يعقوب صروف» مثل (فتاة
مصر) وروايات «فرح أفندي أنطون» (الوحش الوحش الوحش)، وجاء
على غلافهما: (رواية أدبية غرامية اجتماعية، ذات مشاهد لبنانية،
ومبادئ شرقية، وأفكار غريبة) وهناك الرواية الضخمة (الثورة
الفرنساوية) «لإسكندر ديماس»، ترجمها «فرح أنطون».

وربما تكون المرة الأولى التي يعرف فيها القارئ الكريم أن
(مطبعة المعارف ومكتبتها) هي التي أخرجت لجمهور القراء في
مستهل العقود الأولى من القرن العشرين الطبقات الأولى من كتب
«قاسم بك أمين» التي أحدثت هزة في المجتمع المصري مثل (تحرير
المرأة) و(تحرير مصر) وكتاب «محمد المويلحي» الشهير (حديث
عيسى بن هشام) وكتاب (دفاع المصري عن بلاده) «لمصطفى
باشا كامل»، كما أخرجت طبعة حديثة من الكتاب التراثي
الأشهر (دلائل الإعجاز) لإمام البلاغيين «عبد القاهر الجرجاني»،
و(الريحانيات) «لأمين الريحاني»، و(سر الليالي في القلب والإبدال)
«لأحمد فارس الشدياق». و(طبقات الأمم) «لجورجى زيدان»،
و(الصحائف السود) «لولي الدين يكن»، و(المدنية والإسلام)
«لمحمد فريد بك وجدى».

وفاة نجيب م ترى

خلال الفترة من عام ١٨٩٠م وحتى ١٩٢٨م وهي السنة التي توفى
فيها «نجيب م ترى»، استطاع هذا الرجل العظيم أن ينهض بهذا
الكيان الوليد وأن يرسخ أقدامه، ويستطيع خلال تلك الفترة
التي تصل إلى ما يقرب من ثمانية وثلاثين عامًا أن يصل بـ
«مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر المحروسة» إلى أن تصبح من
أهم دور النشر المصرية والعربية دون أي مبالغة، واستطاع بفضل
ذكائه وقدراته وجهده الكبير في أن يجعل الدار قبلة لكل
الكبار والمشاهير من الشعراء والأدباء في ذلك الوقت، نذكر



منهم على سبيل المثال وليس الحصر، «أمير الشعراء أحمد شوقي،
وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وشاعر القطرين خليل مطران، وولي
الدين يكن، وآخرون».

وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٨م، توفى الرائد المؤسس «نجيب مत्री»
عن ٦٣ عاماً، بمنزله الكائن في رقم ١٤١ بشارع الملكة نازلي
(شارع رمسيس حالياً) بغمرة.

قالوا عن «نجيب مत्री»

لم ينس فضلاء الأدب ومشاهير الكتاب والسياسيين وكبار
رجال المجتمع في ذلك الوقت، فضل «نجيب مत्री»، وعبروا عن
حزنهم البالغ لوفاته، وكتبوا كلمات بالغة الرقة في رثائه
وتأبينه، ومنهم من سجل بعضاً من آثاره ودوره في خدمة الطباعة
والنشر وإخراج الكتب، منها الكلمة التي كتبها حضرة المؤرخ
المحقق الكبير الدكتور «أحمد فريد رفاعي بك» سنة ١٩٢١م
بمناسبة الاحتفال بمرور أربعين سنة على إنشاء «مطبعة المعارف
ومكتبتها»، يقول فيها:

«وانه إذا كان كتابنا جميعاً يعترفون بصحة ما أثبتته أحد
كرام مؤلفينا الفضلاء في كلمة قيمة القاها في العيد الفضي
عام ١٩١٦م، حيث يقول: ولي عادة في الطبع لا يرضى بها ولا
يتحملها إلا صاحب «مطبعة المعارف»، أو من كان له صبر صاحبها
وسماحته وطيب أخلاقه؛ كنت أعقد فصلاً وأقدمه للطبع،
فتصدر المطبعة منه مثلاً وتعيده إلي لأراجعه فلم أكن أكتفي
بمراجعته طبق الأصل، كما هي عادة الكتاب والمؤلفين، بل
كثيراً ما كنت أزيد على الأصل أو أنقص منه، وأغير وأبدل في
معانيه وأفاضله تغييراً يوجب في أكثر الأحيان قلب الصفحات
كلها رأساً على عقب». وكان ذلك كله بمشاورته ورأى
ومشورة صاحب الدار وموافقته، وكان يتدخل في كثير من
النصوص المعروضة عليها لنشرها، يقرأها استيعاباً ويبدى رأياً



ويقترح اقتراحا ولا يتنازل عن تعديل مصيب يستوجب التنفيذ. هكذا كان «نجيب مत्री أفندي»، وهكذا رسخ سمعة الدار التي أنشأها ورعاها وصارت قبلة لكل كاتب وشاعر وأديب من المحيط إلى الخليج.

وكتب حضرة الأستاذ الكبير «محمد أمين بك لطفى»، السكرتير العام لوزارة المعارف المصرية سابقا، يشيد بما تركه «نجيب مत्री» من أثر باق وإنجاز كبير، كتب يقول:

«وكل شيء في هذه المطبعة يشير أبلغ إشارة إلى الجهود العظيمة التي بذلها مؤسسها المرحوم (نجيب مत्री) وإلى قوة العزيمة التي كان يتحلى بها في إدارة العمل، فقد كان سباقا في حلبة الإقتان مفظورا على الميل الصحيح إلى هذا الغنى العظيم معروفا بسلامة الذوق ورقة الجانب وكرم الأخلاق.. وقد غادر هذه الحياة قرير العين بما تركه من الآثار التي خلدت ذكره في تاريخ فن الطباعة في الشرق.



آلة الطبع بمطبعة دار المعارف بالقاهرة

